

ل يُدَّ أن نتعَرَّف أوَّل على التطور الدليلي لمفهوم الأدب، إلى أنها أَرخت الأدب العربي، حيث تحدث في مقدمة كتابه "العصر الجاهلي" عن معنى كلمة "أدب"، قائلاً: "كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتطوُّر حياة الأمة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدينة والحضارة. وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يُقصد به إلى التأثير في عواطف القُرَّاء والسامعين، سواء أكان شعراً أم نثراً وإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي نُنقُب عن الكلمة فيه لم نجد لها تجري على ألسنة الشعراء، إنما نجد لفظة آداب بمعنى الداعي إلى الطعام، فقد جاء على لسان طرفة بن العبد: ومن ذلك المأدبة بمعنى الطعام، واشتقوا من هذا المعنى أدب يَأدُب، بمعنى صنع مأدبة أو دعا إليها. وليس وراء بيت طرفة أبيات أخرى تدل على أنَّ الكلمة انتقلت في العصر الجاهلي من هذا المعنى الحَسِّي إلى معنى آخر، غير أننا نجد أنها تُستخدم على لسان الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في معنى تهذيبي خلقي، ففي الحديث النبوي: "أدبني ربي فأحسن تأدبي" ويستخدمها شاعر مخضرم يسمى سهم بن حنظلة العَنَوِي بنفس المعنى، وربما استخدمت الكلمة في العصر الجاهلي بهذا المعنى الخلقي، وذهب "ناليانو" إلى أنها استخدمت في الجاهلية بمعنى السنَّة وسيرة الآباء، فقد جمع العرب دأباً على آداب،